أدب الأطفال فى مصر فى العصر الحديث
المرحلة الثانية

أ. د. عبد المجيد زراقط

دكتوراه فى النقد الأدبى - الجامعة اللبنانية

حظى أدب الأطفال فى مصر بالاهتمام، فصار يدرَّس بوصفه مقرَّرًا فى كلِّيتى الآداب والتربية فى الجامعات المصرية، وأنشأت وزارة الثقافة سنة ١٩٧٣ مركزًا لبحوث كتب الأطفال، والمركز القومى لثقافة الطِّفل، وكثرت دور النَّشر الخاصَّة بكتب الأطفال، فصارت تعدُّ بالعشرات، وغزر إنتاجها. وتفيد قراءة قوائم توزيع كتب الأطفال الصَّادرة فى مصر، أن القصص تمثل أكثر من نصف هذه الكتب. ونظَّم المكتب الاستشارى لثقافة الأطفال، فى وزارة الثقافة برنامجًا طويل الأمد لتدريب كتَّاب الأطفال، ضمَّ نخبة من المحاضرين، تمخَّض هذا البرنامج عن إصدار كتاب "فن الكتابة للأطفال" لأحمد نجيب، مدير مركز أدب الطِّفل فى دار المعارف، ويضمّ هذا الكتاب محاضرات نجيب التى ألقيت فى ذلك البرنامج التدريبى، وعن إنشاء جمعية ثقافة الطِّفل برئاسة عبدالتوَّاب يوسف، وتكوين لجنة ثقافة الطَّفل فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وهو الآن المجلس الأعلى للثقافة.

وأصدر عدد من الأدباء والباحثين كتبًا تبحث فى أدب الأطفال والكتابة لهم، ومن هؤلاء على الحديدى الذى أصدر كتاب "الأدب وبناء الإنسان"، سنة ١٩٧٢، ثم أصدره فى طبعة ثانية سنة ١٩٧٦، تحت عنوان "فى أدب الأطفال"، وعبدالتوَّاب يوسف الذى أصدر كتاب "فصول حول الطِّفل والقراءة"، وأحمد فضل شبلول الذى أصدر جماليات النَّص الشعرى للأطفال سنة ١٩٩٦، وسنة ١٩٩٨، معجم شعراء الطفولة فى الوطن العربى خلال القرن العشرين، وأدب الأطفال فى الوطن العربى سنة ٢٠٠١.

يذكر أحمد نجيب أسماء ما يزيد على ستين كاتبًا للأطفال فى مصر، منهم أحمد فضل شبلول، والشاعر محمد عفيفى مطر الذى كتب قصصًا للأطفال ضمَّها كتابه : "مسامرة الأولاد كى لا يناموا"، الصادر فى الإمارات العربية المتحدة سنة ١٩٩٨، وسمير عبدالباقى (١٩٣٩ -)، وهو شاعر يعدُّ من شعراء العامية فى مصر، له أربعون مجموعة شعر بالعامية والفصحى، منها ست مجموعات للأطفال. وعبدالتوَّاب يوسف، وأحمد نجيب نفسه[1]. وأحمد سويلم وأحمد زرزور ويعقوب الشارونى والسيد نجم وعواطف إبراهيم.

وكما قلنا آنفًا، فإنَّنا سنقدِّم معرفة ببعض كتَّاب أدب الأطفال فى مصر وبنماذج من أدبهم، بوصفهم نماذج تمثل هذا الأدب :

- **عواطف إبراهيم** أستاذة، ورئيسة قسم المناهج، ووكيلة كلية التربية فى جامعة طنطا؛ لها كتاب "قصص أطفال دور الحضانة" الصادر سنة ١٩٨٤. هذه القصص مترجمة وموجهة للأطفال (٢ – ٦ سنوات)، أى مرحلة ما قبل الدراسة النظامية، وقد اختارت منها ما يناسب البيئة العربية الإسلامية، أو أضافت إلى القصص المترجمة نوعين من القصص لهما أهمية كبرى فى

حياة الصغار هما :

١- قصص ألعاب الأصابع لأطفال السنتين الثانية والثالثة، وقامت بتأليفها وتطبيقها.

٢- قصص دينية مناسبة لسن ما قبل المدرسة، تبرز قدرة الله سبحانه وتعالى، خالق الكون من نحو أول، وترد على تساؤلات الصغار من نحو ثانٍ.

تقول الكاتبة : إن هذه القصص أظهرت أنها ذات تأثير كبير على تعليم الأطفال فى دور الحضانة فى مجالات عديدة، من أهمها إكسابهم القيم والعادات والتقاليد. ولها كتاب "أغانى أطفال دور الحضانة"، إضافة إلى كتب تربوية كثيرة.

- **أحمد فضل شبلول** (١٩٥٣ - الإسكندرية) : شاعر وناقد، وصحفى وكاتب أدب أطفال. يحمل إجازة فى التجارة من جامعة الاسكندرية سنة ١٩٧٨، عمل مدة طويلة فى السعودية فى مجال النشر والصحافة، يشغل منصب نائب رئيس اتحاد كتَّاب الأنترنت العرب. حصل على جائزة الدولة التشجيعية فى الآداب عن ديوانه للأطفال : "أشجار الشارع إخوانى". أصدر عدة مجموعات شعرية للكبار، تنوَّعت كتاباته للأطفال، فكتب دراسة عن "جماليات النَّص الشعرى للأطفال". بحث فيها فى خمسة وعشرين ديوانًا للأطفال، ودراسة عن "أدب الأطفال فى الوطن العربى - قضايا وآراء"، ثم ألَّف "معجم شعراء الطفولة فى الوطن العربى فى القرن العشرين"، وكتاب"عائلة الأحجار"، ويقدِّم فيه معرفة بالأحجار منذ بدء الخليقة حتى اليوم.

أصدر للأطفال المجموعات الشعرية الآتية : "أشجار الشارع إخوانى" - ١٩٩٤، "حديث الشمس والقمر" - ١٩٩٧، "بيريو الحكيم يتحدث" - ١٩٩٩، و"طائرة ومدينة" - ٢٠٠١.

يمثل اتجاهًا شعريًا جديدًا يتمثل بالتعامل الشعرى مع وسائط الاتصال الجديدة - الإلكترونية، وأنسنة الجماد...

- **أحمد نجيب** (١٩٢٨ -)، يلقَّب بـ "رائد أدب الأطفال"، يحمل ماجستير فى الآداب من جامعة القاهرة، وشهادة أكاديمية العلوم التربوية الألمانية من برلين، تقلَّد وظائف تربوية كثيرة إلى جانب عمله فى تدريس مقرَّر أدب الأطفال فى دار المعلمات فى العبَّاسية، عضو المجلس العالمى لكتب الأطفال، وهو عضو لجنة ثقافة الطَّفل، فى المجلس الأعلى للثقافة، شارك فى مؤتمرات عن أدب الأطفال كثيرة، منها، تنظيم حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربى التى عقدت فى بيروت سنة ١٩٧٠، وإسهامه فى أعمال مؤتمر كتب الأطفال ومجلاتهم الذى أقامه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

ألَّف حوالى ثلاثمائة كتاب أطفال، معظمها قصص ومسرحيات للأطفال باللغتين العربية والإنكليزية، وبعض الكتب العلمية والمترجمة، من مؤلفاته : سلسلة مغامرات عقلة الأصبع، كتاب مسرح العرائس، سلسلة تمثيليات المسرح المدرسى، سلسلة مغامرات الشاطر حسن، حكايات الجيل الجديد، مغامرات فى أعماق البحار، سلسلة قصص عالمية للأطفال، وحكايات كليلة ودمنة، وسلسلة حكايات أبو الأفكار، سلسلة حكايات العصفور الأزرق (عشر قصص). وقد اختارت جامعة يوتا الأميركية هذه السلسلة لتدرِّسها، بوصفها أنموذجًا لأدب الأطفال العربى الحديث، واختيرت قصة "مغامرات فى أعماق البحار"، لتدرَّس فى الصف الخامس الابتدائى فى مدارس مصر، وله ديوان أحمد نجيب للأطفال والناشئين، وأربع دوائر معارف، منها : دائرة معارف

مصر للأطفال، ودائرة المعارف العالمية المصوَّرة للأطفال والناشئة، وأدب الأطفال : علم وفن، والقصة فى أدب الأطفال. حائز على جائزة الملك فيصل العالمية للآداب سنة ١٩٩١.

نقرأ لأحمد نجيب، الشَّاعر "نشيد العبور"، وهو يتغنى فيه بالإنجاز الذى حقَّقه الجيش المصرى، فى حرب تشرين (أكتوبر) سنة ١٩٧٣، وتمثَّل فى عبور قناة السويس، وتحرير الأرض المصرية المحتلَّة. و"العبور"، هنا، دالٌّ ليس على عبور القناة فحسب، وإنما على العبور من الهزيمة إلى النَّصر أيضًا، والنشيد يتألَّف من لازمة رباعيَّة، موحَّدة القافية، تعيد عبور القناة وهزيمة الغزاة وإذلال الطغاة إلى عون الله، سبحانه وتعالى، الذى آزر الجيش المصرى، المعبَّر عنه بـ "نا" التى تتكرر مرَّتين. وفى المرَّة الثالثة، يحل "سيف العروبة" مكان "نا"، ويتكرَّر "بعون الإله"، فى الشطر الرابع والأخير، مرَّتين، بعدما كان قد تكرَّر مرَّتين فى الشطرين الأوَّلين، ما يعنى أن الله، سبحانه وتعالى، أعان الجيش المصرى، الضارب بسيف العروبة، فحقق العبور - النصر...

الدَّور الأوَّل، من النشيد، ويتخذ شكل المثنوى، موحَّد قافية الشطرين، ويتألف من أربعة أبيات يليها بيت خامس، يتبع قافية البيت الرَّابع، ويتكرَّر بعد الدَّور الثانى فى نهاية النشيد. يتحدث النشيد عن محو الهزيمة، وبناء جسور العبور إلى الضفَّة الأخرى من قناة السويس، وهى فى الوقت نفسه جسور العبور إلى الغد، رمز الأمل، ففى هذا اليوم "صنعنا العجائب..."، وتعود "نا" لتتكرر، ولكن هذه المرَّة لتدلَّ على الشعب، فبقوَّة إيمان هذا الشعب الأمين، تمَّ صنع العجائب، والطيران إلى النصر وتحطيم جيش العدو، ثم يأتى البيت الخامس ليكرِّر دور الشعب. فهذا الشعب صحا، ولن ينام، ليس ليعتدى، وإنما ليحمى السلام ويسد طريق العدوان. ثم تتكرَّر اللاَّزمة، ويليها الدور الثانى، ويتألَّف من أربعة أبيات تتخذ شكل المثنوى موحَّد قافية الشطر، يليه البيت الخامس، فيتكرَّر ليؤكد حماية السلام وسدّ طريق المعتدين، وفى هذا الدور نقرأ سردًا لوقائع من حرب العبور، ويلاحظ أنَّ العلم الذى رفع هو علم العروبة، وأن زئير الأسود هو زئير العرب، وهذا كله حققته صحوة الشعب العزيز المجيد.

يتألف النشيد من لازمة تتكرَّر مرتين ودورين، ولازمة ثانية تتكرر مرَّتين، وينطق بقيم دينيَّة وطنيَّة، فيشيد بالنَّصر، ويعزو تحقيقه إلى صحوة الشعب، الذى نهض وحقق عزَّة العرب ومجدهم، بعون الله - عزَّ وجل - ليبنى مجداً فوق مجد الأُوَل.

معجم هذا النشيد اللغوي سهل مألوف، والعبارات قصيرة، والإيقاع يعتمد على وزن مجزوء المتقارب فى اللازمة، وعلى وزن المتقارب فى الأدوار واللازمة الثانية، وكلٌّ منهما غير سالم. والملاحظ تكرار المفردات والعبارات والتوازن : "عبرنا"، "هزمنا"، "صبرنا"، "عبرنا"، والقافية الداخلية : "صحا لن ينام... ليحمى السلام"، والتكرار يشكل نغمًا منتظمًا يسهم فى تشكيل إيقاع النشيد، كما أنه يفيد أن فى النشيد ثلاثة محاور هى "الإله" و"نا = الشعب"، و"العروبة"، فبعون الإله، سبحانه وتعالى، يحقّق الشعب الذى صحا النَّصر، فيضيف إلى أمجاد العرب الماضية مجدًا جديدًا، وهذا يعنى التركيز على صحوة الشعب، وليس على القائد والرَّئيس، وهذه رؤية إنسانية متقدَّمة، وخصوصًا عندما نقرأ أن هذا الشعب الذى صحا ونهض ليمحو الهزيمة ويذلَّ

الطغاة.. صحا أيضًا، ليحمى السلام، ويسدَّ طريق المعتدين، ولن ينام بعد ذلك.

والنشيد الكامل هو :

نشيد العبور

بعون الإله عبرنا القناة
بعون الإله هزمنا الغزاة
بسيف العروبة ذلَّ الطغاة
بعون الإله بعون الإله

محونا الهزيمة يوم العبور ... صبرنا... عبرنا... بنينا الجسور
جسورًا إلى الغد رمز الأمل ... لنبنى هنا فوق مجد الأوَلْ
صنعنا العجائب يوم العبور ... وطرنا إلى النصر مثل النسور
نحطم جيش العدو المتين ... بقوة إيمان شعب أمين
صحا لن ينام... ليحمى السلام... يسد الطريق على المعتدين

بعون الإله عبرنا القناة
بعون الإله هزمنا الغزاة
بسيف العروبة ذلَّ الطغاة
بعون الإله بعون الإله

حملنا السلاح بعزم الأسود ... وعدنا بنصر يهز الوجود
على أرض سينا رفعنا العلم ... يرفرف فوق الذرى والقمم
زئير الأسود وقصف الرعود ... وصحوة شعب عزيز مجيد
صحا لن ينام... ليحمى السلام... يسد الطريق على المعتدين(٢)

ونقرأ لأحمد نجيب، القاصِّ، قصَّة "الحصان الطيَّار فى بلاد الأسرار"، الصادرة فى سلسلة المكتبة الخضراء للأطفال، عن دار المعارف المصرية، سنة ١٩٨٢.

تبدأ هذه القصَّة بالتعريف بالملك النعمان ابن الملك حسان، وهو ملك عظيم الجاه والسُّلطان، يملك بلادًا عظيمةً غنيَّة، ويتمُّ التعريف بالطريقة الحكائية التقليدية "يحكى أنه كان فى قديم الزَّمان..."، ويتخذ التَّعبير الأسلوب المسجَّع، بداية، ثم يتواصل السَّرد بالأسلوب، المرسل، فكأنما كانت البداية منغَّمة لترغِّب الطِّفل بالقراءة.

ثم يحدث الفقد، فالملك لم يكن سعيدًا ولا مرتاح البال؛ وذلك لأنه يريد الحصول على "الشىء الغريب" الموجود فى "بلاد الأعاجيب"، وقد سمع به ولم يعرفه، فما هو هذا الشىء العجيب؟ من هنا يبدأ التشويق، ويأتى دور العامل المساعد، وهو "ساحر الجبل" الذى يسكن فى بيت كبير، فى قمة الجبل القريب من بلد الملك النعمان، وكان الناس يقولون : إن هذا الساحر يعرف سرِّ هذا الشىء الغريب الذى لا يوجد إلاَّ فى بلاد الأعاجيب.

يتدخَّل القاصُّ، هنا كما كان يفعل "الحكواتى"، عندما كان يحكى حكاياته، ويخاطب القارئ : هيا بنا نذهب مع رسول النعمان إلى ساحر الجبل.

يلتقى الضابط الساحر، وتحدث بعض الغرائب، ويخبره أن السرَّ الغريب هو "الحصان الطيَّار". ويخبره كذلك أنّ كل من حاول الوصول إلى تلك البلاد هلك. فالوصول إليها مستحيل. تتشكل هنا الصُّعوبات فيصرُّ الملك، بعد أن أخبره الضابط بما عرفه، على الحصول على الحصان، مقرِّراً أنه لا يعرف شيئًا اسمه المستحيل.

يرسل فرقة، فى المرة الأولى، لتحضر له الحصان فتخفق، ثم يرسل فرقة ثانية بقيادة قائد الجيش، فتخفق أيضًا.

يطلب الملك المساعدة من السَّاحر، فيخبره هذا أنه لا يستطيع مساعدته، وينصحه بألاّ يغامر بأرواح الجنود، حماة الوطن، ويعظه بقوله : لا فائدة فى الطمع، لكن الملك يصرّ على موقفه، ويغادر البلاد على رأس جيشه قاصدًا "بلاد الأسرار". يموت جنوده فى الطريق، ويصل وحيدًا، ممزَّق الثياب إلى وادٍ أخضر جميل، ويلتقى أميرة هذا الوادى، وهى حسناء رقيقة رشيقة، وإلى جانبها حصان بديع أبيض اللون كالحمامة البيضاء. أخبرها أنه يريد أن يأخذ الحصان، فتستغرب، وتسأله : "كيف تأخذ شيئًا ليس ملكك...؟ هل أنت لص...؟ هل فى بلادك إذا رأى أحدكم شيئًا جميلاً يعجبه، يأخذه، حتى ولو لم يكن ملكه...؟".

يستولى الملك على الحصان، فتقول له : "سأدعو الله الذى هو أقوى من كلِّ ساحر، وسأقول : "قلَّل الله أصدقاءك"، وكثَّر أعداءك، وضيَّق الدُّنيا في وجهك". يسخر منها، ويسألها : "وهل يسمع الله كلامك أنت... ضدِّى أنا الملك العظيم...!؟ فتقول له : "...ولكن الحق أعظم منك سيدى...، والله مع الحق، لامع أصحاب القوَّة والملك والسلطان...".

يرفض مواصلة النقاش معها، لأنه ملك، ولا يسمح لأحد بأن يناقشه، ويعود إلى بلاده، لكنه يفاجأ بأن الناس ينكرونه، ويريدون قتله، لأنَّه بدَّد الجيش الذى كان يحمى البلاد، فاستغل الأعداء هذه الفرصة واحتلُّوها، فعاد إلى الأميرة التى نصحته بالعمل على تحرير بلاده، ويعود فيجمع أبناء الشعب، ويقودهم ليحرِّر بلاده، فيفعل، وينتصر، ويعود إلى الأميرة، بعد أن تغيّر ليعرض عليها الزواج، فتقبل، ويصبحان زوجين سعيدين ينجبان ابنًا اسمه أسامة.

تتخذ هذه القصَّة بنية حكائية، تبدأ بالتعريف بالشخصية، ويلى الفقد، فالسَّعى إلى تنفيذه، فيحضر العامل المساعد، والعوامل المعوِّقة، ويتم السعى إلى تحقيق الهدف، وتنتهى الحكاية بتحقيق الإنجاز، لكن فى سياق القصِّ يحدث تحوّل فى شخصيَّة الملك، وفى هدفه، فهو لم يعد ملكًا جبَّارًا لا يهمُّه إلاَّ تحقيق أطماعه، وإنما غدا قائدًا محرِّرًا يقود شعبه إلى تحقيق الانتصار، وهنا تختلف هذه القصَّة عن الحكاية التقليدية بالتحوُّل الذى عرفته شخصية الملك، وكان لأميرة الوادى الأخضر التى تمثل الجمال وحميد الأخلاق دور أساس فى تحوُّله.

تنطق هذه القصَّة بعدة قيم وطنية سياسية أخلاقية دينيَّة، ويأتى النَّص على بعضها مباشرة، كما بدا ذلك واضحًا من العرض، ونلحظ أن رؤية القاص، فى هذه القصَّة، تطابق رؤيته فى النشيد، فهى رؤية دينيَّة، فالله سبحانه وتعالى، مع الحق، وهو المسدِّد إلى الصَّواب، والشَّعب له الدور الأساس فى تحقيق الإنجاز، والحاكم ينبغى أن يتخلَّى عن أطماعه، وليس له أن يستولى على ما ليس هو من ملكه، ولا أن يعتدى على أملاك الآخرين، كما أن عليه أن يحافظ على بلاده، ويعمل

على مقاومة المعتدى، وهذه رؤية وطنيَّة إنسانية متقدِّمة.

تؤدَّى هذه القصَّة بلغة سهلة، ويتخذ القصُّ مسارًا مشوِّقًا، لكنَّها لا تخلو من المفاجآت، والأحداث والأشياء الغريبة، ولعل هذا يُستخدم لتشويق الطفل، وتلبية حاجته إلى التخيُّل، وقد كان واضحًا أن القدرة العجائبية محدودة، فالساحر رجلٌ عالم خيِّر يقدِّم النُّصح، ومحدود القدرة، فهو يعلن أنه لا يقدر على إحضار الحصان الطائر، وأنه لا يعرف بلاد العجائب، أمَّا الحصان الطَّائر، فيمثل حلمًا حققه الإنسان عندما اخترع الطائرة والصواريخ.

- **يعقوب الشَّارونى** (١٩٣١ -)، درس القانون. عمل مشرفًا على صفحة الأطفال اليوميَّة فى جريدة الأهرام بين عامى ١٩٨١ و٢٠٠٨، وكتب فيها بابًا عنوانه : "ألف حكاية وحكاية" منذ سنة ١٩٨١. بلغ عدد الكتب التى ألفَّها للأطفال، ونشرها أربعمائة كتاب. وفى سنة ١٩٩٨، صدرت له عشرة مجلَّدات عنوانها : "ألف حكاية وحكاية"، نال جائزة أحسن كاتب أدب أطفال سنة ١٩٨١. وجائزة أدب الأطفال عن كتابه : "أجمل الحكايات الشَّعبيّة" سنة ٢٠٠٠، وفاز هذا الكتاب بجائزة "الآفاق الجديدة فى معرض بولونيا لكتب الأطفال فى إيطاليا، وهى جائزة تُمنح لكتاب واحد، على مستوى قارَّات آسيا وأميركا الجنوبية وأفريقيا وأستراليا".

وصفت سهير القلماوى أسلوبه بالسهولة والبساطة، ورأت أنه "واضح المعالم يستجيب لكل ما نطمح إليه، من حيث اللغة التى يُخاطَب بها الطفل".

نقرأ ليعقوب الشَّارونى سلسلة قصصيَّة عنوانها : "حكايات للأولاد والبنات" صادرة عن دار الكتاب المصرى - القاهرة، ودار الكتاب اللبنانى - بيروت. تضمُّ هذه السلسلة ثلاثين قصَّة قصيرة، كل قصَّة منها منشورة فى كتاب مستقل، يتألف من ست عشرة صفحة ملوَّنة. فى كل صفحة جزء من النَّص يتراوح حجمه بين سطرين وأربعة أسطر، ولا يزيد عدد الكلمات فى السطر على السبع كلمات. وباقى الصفحة يُخصَّص للرسم. وهو رسم واضح متقن ملون، ألوانه مريحة وهادئة، ويؤدِّى وظيفتى التزيين الجمالى والتوضيح. وفى نهاية القصة أسئلة، يُطلب البحث عن إجاباتها فى صفحات القصة، بأن يُوضع خطٌّ تحت الإجابة فى كل صفحة، ويُوضع رقم الصفحة أمام كل سؤال، والإجابة المطلوبة، يمكن العثور عليها بسرعة، وهى لا تتعدَّى الجملة القصيرة أو الكلمة الواحدة. الأغلفة ملوَّنة وجميلة، ومعبِّرة عن محتوى القصَّة، وتغرى بقراءتها.

يبدو واضحًا أن هذه السلسلة تلائم أطفال المرحلة العمرية (٦ – ٩) والمرحلة التى تليها، من حيث الشكل الجميل المتقن، أمَّا، من حيث المحتوى، فالملاحظ، فى قصص هذه السلسلة، التقاط الحدث الواحد غير المتشعِّب، والنَّاطق بدلالة، وأداؤه فى سياق سردى ذى بناء خيطى. مشوِّق، من دون تدخُّل من الراوى، البارع، والذى يترك للبنية القصصيَّة أن تنطق بالدلالة بعد اكتمال تشكُّلها، من دون تدخل منه أو تعليق له. لغة هذه القصص سهلة واضحة، فالمعجم اللغوى مأخوذ من لغة الطِّفل الحياتية، والعبارات بسيطة التركيب، قصيرة، وهى سرديَّة فى الغالب، يتخللها الحوار الذاتى والثنائى، فالقصُّ يبدو كأنَّه سرد حكائى، لكن من دون عجائبية، أو غرائبية، أو مفاجآت ومصادفات غير مقنعة، فالحدث مقنع فى شروط العالم الذى يحدث فيه، والتخيل غير مبالغ فيه ومحبَّب.

ففى قصة "الأسد والحمار"، ينقذ الحمار الأسد من القفص الذى أدخله فيه النجار، ويبدو أن

الأسد الذى "كان يعتقد فى نفسه المهارة والذكاء، ويرى أن الحمار غبى لا يفهم" (ص ٢)، يقع فى أسر النجار الذكى، ويقوم الحمار بإخراجه من القفص، وفى قصَّة، "مغامرة الصديقتين"، تنجح العنزتان الصديقتان فى البقاء معًا، من طريق التعاون والتفكير، وفى قصة "الدب والصَّبى الصغير" يقتنع كلٌّ من الصبى الصغير والدبُّ بأن يلعبا معًا، ويبقى الصبى صبيًا والدبُّ دبًا، فلكلٍّ عالمه، وفى قصة "شقاوة القرود" تأخذ القرود درسًا لن تنساه جزاء سوء سلوكها، وهنا تأتى الدلالة مباشرة، لكن دلالة أخرى فى هذه القصَّة يلحظها القارئ، وهى الحاجة إلى الآخر، ومشورته ومساعدته، وفى قصته "الفيلة عزيزة تتذكر"، لا تنسى هذه الفيلة معروف الصَّبى خالد، وترفض أن تشرب الماء إلاَّ منه...

وفى قصَّة "الأرنب والذِّئب"، يساعد الأرنب الذِّئب، ويرفع الحجر عن ظهره، وبدلاً من أن يشكره الذئب، يحاول أكله، فيحتكمان إلى البطة التى تنجح بحكمتها فى أن تعيد الحجر ليستقر فوق الذئب، هذه القصة تستفيد من حكاية "المارد والصيَّاد" فى ألف ليلة وليلة، وتنطق بقيم التعاون والتفكير وشكر من يساعد لا إيذاءه، وفى قصة "السيارة الزرقاء" يتعلم القردان أن يفكِّرا فى كل نصيحة تقال لهما قبل تنفيذها، وهنا تأتى الدلالة مباشرة، وفى قصة "الطَّبق والفطيرة" يغسل الطفلان الأطباق، ويكسران واحدًا منها، فلا تعاقبهما أمهما، وإنَّما تعد لهما فطيرة مكافأة لما قاما به، وتنصحهما بالحرص...، وهكذا تتتابع قصص هذه السلسلة، مسلِّية ممتعة، ناطقة بقيم أخلاقيَّة وسلوكية.

ونقرأ ليعقوب الشارونى ثلاث قصص نشرها فى سلسلة "المكتبة الخضراء للأطفال". تتصف هذه القصص، من حيث الشكل، بصفات هذه السلسلة التى ذكرناها. وتختلف عن قصص سلسلة "حكايات للأولاد والبنات" بأنها حكايات ملأى بالمفاجآت وبالشخصيات والوقائع الغريبة، ففى قصَّة "الشاطر محظوظ"، واسمه دالٌّ على نجاحه، وأسباب هذا النجاح، يتمكَّن الأمير محظوظ من الزواج من الأميرة الجميلة التى تشترط أمها شروطًا معجزة، فيتمكَّن من تحقيق الشروط بمساعدة خمسة أشخاص يمتلك كل منهم قدرة عجيبة، وقد أتاحت له امرأة ساعدها وأعطاها حصانه الأبيض فرص ضم هؤلاء الأشخاص إلى مجموعة معاونيه، ما يدل على أن صنع المعروف يجلب الحظَّ.

وفى قصَّة نهر الذَّهب تكثر المفاجآت والغرائب والعجائب وتتراكم، ويتمكن الشاب الطيِّب من إعادة الحياة والرخاء والثِّمار للوادى الخصيب، والماء إلى نهر الذَّهب، بعدما كان أخواه الشرِّيران قد أفسدا كل شىء. تبدو هذه القصَّة كأى حكاية شبيهة تنتهى بانتصار الخير، وفوز الشابِّ الطيِّب الذى كان مضطهدًا بالطيبات والمكانة الرفيعة.

وفى قصَّة "دنانير لبلبة"، تخلص لبلبة الخادمة فى عملها، وتساعد المحتاجين، فتكافئها الحوريات بتحقيق ثلاث رغبات لها، فتعيش سعيدة هى وجدَّتها، فى حين تعاقب الحوريات الخادمتين الأخريين الكسولتين. هذه حكاية ليس فيها من غرائب سوى تدخُّل الحوريات، وفى القصتين الأوليين تتدخل أيضًا قوى من خارج العلاقات الاجتماعية لتحقق للإنسان الخيِّر الطيِّب أهدافه، لكن هذا وإن كان مسلِّيًا ومدهشًا، فإنه غير حقيقى، ويمكن أن يجعل الطِّفل ينشأ، وهو يفكِّر

بأن قوى من خارج واقعه ستحقق له ما يريد إن كان يتصف بحميد الأخلاق. إن الاتصاف بالأخلاق الحميدة أمر ينبغى أن يتربَّى أطفالنا عليه، لكن فى الوقت نفسه ينبغى أن يتربوا على أن الإنجاز يحّققه المرء نفسه، بتفكيره وسعيه وجهده، فى الوقت نفسه الذى يكون فيه طيِّبًا وخيِّرًا، ويتصف بالأخلاق الحميدة. لكن، وكما يبدو، فإن ناشرى السلسلة أرادوا أن تتصف جميع قصصها، بخصائص الحكاية العجيبة ومفاجآتها، فحرص الشارونى على توفير هذه الخصائص فى قصصه، إضافة إلى خصائص أخرى، فيها مبادرة الشخصية وإقدامها كما فى قصتىّ "الشاطر محظوظ" و"نهر الذهب" والإخلاص فى العمل، كما فى قصة "دنانير لبلبلة"، إضافة إلى الصفات الأساس، وهى الأخلاق الحميدة.

- **أحمد زرزور** (١٩٤٩ – ٢٠١٢)، شاعر، يحمل إجازة فى الحقوق من جامعة القاهرة، نالها سنة ١٩٧٤، أسهم فى تأسيس مجلَّة "قطر النَّدى" الخاصَّة بالأطفال، ورئس تحريرها، تولَّى منصب مدير عام إدارة النشر، ثم مدير الإدارة العامَّة للقصور المتخصِّصة فى قصور الثقافة. نال جائزة الدولة التشجيعية فى الآداب سنة ١٩٩١، والجائزة الذهبية لأحسن أغنية عربيَّة. له ستة دواوين للكبار، وعدّة مجموعات شعرية للأطفال، منها : "ويضحك القمر"، "وردة القمر"، "ما قالته الغيمة الأخيرة" و"أغنية الصَّداقة"، و"أغنية الولد الفلسطينى"، و"أغنية إلى العصفور الأزرق"...

يرى أحمد زرزور أنه من المستحيل أن يتمَّ إبداع خارج الذَات التى تعيش فى داخل المجتمع، وليس خارجه، وأنه لا يمكن الفصل بين السياسى والجمالى، أو بين الأيديولجى والفنِّى، والمشكلة تتمثَّل فى كيفية نسج النَّص الذى يؤدِّى السياسى، أو الأيديولوجى جماليًا، وهذا سهل لدى الشاعر الموهوب المثقف المنتمى إلى مجتمعه، إذ إن تجربة هذا الشاعر تلدهما معًا فى اللحظة نفسها التى تولد فيها القصيدة.

جاء فى جريدة "الحياة للأطفال" : "لم نلتق الشاعر أحمد زرزور، لكن قصائده استوطنت أفئدة الأطفال العرب، وفكرهم، واحتَّلت مساحة عن هذا الشاعر من "الحياة للأطفال"...، وقد حلم، وهو طفل صغير، أن يصبح أديب أطفال حين يكبر، وقد حقَّق حلمه، وصار من أشهر شعراء الأطفال العرب فى العصر الحديث". يقول بيان الصَّفدى عن شعره : فيه سهولة وعذوبة، وأفكار إنسانيَّة، وطفولة تحمل القيم الإيجابية، وتمثُّل للهموم العربية، وخصوصًا القضية الفلسطينية.

نقرأ نماذج من شعره، ونتبيَّن هذه الخصائص، ففى قصيدة "اليدوم على الأرض السلام"، تحلم مريم، وترسم بنتًا بجناحين... تطير هذه البنت ولا ندرى إلى أين. هذه بداية سردية مشوِّقة تشغل خيال الطِّفل. ثمَّ نعرف، من طريق الأسئلة، أنَّ الطفلة ستطير إلى الأيتام والعصافير وكل الأمكنة، لتهمس لضمير الإنسان : يكفى العالم من آلام... ثمَّ تطير إلى الساحات لترقص أحلى الرقصات، وتعبِّر عن حبِّها وفرحها...

تتخذ هذه القصيدة بنية مركَّبة من خمسة مقاطع تبدأ بقصٍّ، فأسئلة يُترك للطفل أن يجيب عنها. فإجابتان تنطقان بالدعوة إلى محو الآلام ودوام السلام والحب والفرح. هذه هى الرؤية الإنسانية المتميزة.

لغة هذه القصيدة سهلة، مألوفة، مأنوسة، وعباراتها قصيرة، والقافية متنوعة، تشكل إيقاعًا

متنوِّعًا يتتابع فى سياق حركة تشكُّل النَّص نغمًا يتكرَّر منتظمًا فى هذا المقطع وذاك، ما يشكل لدى اكتمال التشكُّل قطعةً متنوِّعة الأنغام الفرحة التى تتتابع برشاقة كأنها إيقاعات راقص فرح، يؤدِّيها إيقاع وزن بحر المتدارك غير السالم تامًّا ومجزوءاً ومنهوكاً. نقرأ لزرزور همسه: "ليدوم على الأرض السلام".

ليدوم على الأرض السلام

(١)
مريم تحلم.../ مريم ترسم...
رسمت بنتًا بجناحين / لا ندرى :
ستطير لأين؟
(٢)
هل ستطير إلى أيتام / لتهنئ
بقدوم العام / تشعل شمعًا
تطفئ شمعًا / تمسح من
أعينهم دمعًا!
(٣)
أم ستطير إلى أعشاش / لتحذرها
من خفاش / فتنام عصافير
الوادى / آمنة فى ليل بلادى؟
(٤)
سوف تطير لكل مكان /
تهمس لضمير الإنسان /
"يكفى العالم من آلام"
ليدوم على الأرض السلام
(٥)
ثم تطير إلى السَّاحات /
لتؤدى أحلى الرقصات /
وتغنِّى مع كلِّ الصحبة :
"عام يأتينا بمحبة!".

ونقرأ له القصيدة ـ الأغنية : "أنا إنسان" :

قد ينقصُ منى كفّان / أو يصمت فى الحلق لسان / قد لا تستمع الأذنان / أو تعجز عندى قدمان / لكنى مثلك إنسان / عندى إحساس ومعان / قد أكتبها / قد أرسمها / مثل الشاعر والفنان / والفضل لأستاذ الصفَّ / قال بحب / وبلا حرف / ففهمت بعينيه كلامًا / يغمرنى بردًا وسلامًا / أوصانى :

عش باطمئنان / لا تستسلم للأحزان
عش أحلامك بالألوان / أوصفها بغير بيان...
شكرًا يا أستاذ / أنت لعقلى / خير ملاذ /
منذ الآن : أنا إنسان / وأنا /
الشاعر الفنان.

هذه أغنية تأتى على لسان إنسان فقد قدرة من قدراته، يؤكد فيها أنَّه إنسان عنده إحساس ومعانٍ، ويلفت فيها إلى أستاذ الصفّ، المربِّى ودوره، وهى قصيدة تتصف بالخصائص نفسها التى تبيَّناها فى القصيدة السابقة، من معجم لغوى مألوف، مأنوس، وعبارات قصيرة، وتنوّع أساليب، وإيقاع.

وهذه الرؤية الإنسانية نفسها، نقرؤها فى مقطوعة "أغنية للصداقة" التى نلمس فيها بساطة الأسلوب وعذوبة العالم الذى يحب فيه الإنسان الآخر، كما تحب الوردة النَّدى. وكما تحب النَّحلة الشذى، وكما تحب الغابة المطر :

لو أننا نحب أصدقاءنا / كما تحب الوردة النَّدى / كما تحب النَحلة الشذى / كما تحب الغابة المطر...

...
لو أننا نلقى السلام فى / مسائنا /
على البيوت / والدروب / والشجر /
فيغمر الأمان ليلنا / ويضحك / القمر!

الملاحظ أن الإيقاع متنوَّع، لكن نغمًا ثابتًا يبقى، ويتكرَّر، فيوحى بتساقط حبَّات المطر، أو بإشعاع خيوط ضوء القمر.

تتجلَّى الرؤية الإنسانية فى "أغنية الولد الفلسطينى"، فهذا الولد الذى عانى ما لم يعانه أى طفل آخر فى العالم، ولم يزل يعانى.

فقد الوطن، وغدت خيمته وطنه، ليضع على جدارها بطاقة ملوَّنة، ترتسم عليها معالم من وطنه المفقود...، نقرأها فى ما يأتى :

على جدار خيمتى / بطاقة ملوَّنة / لربوة مخضرَّة / وقلعة ومئذنة / ولوحة لدارنا / ببابها القديم / فكم على سطوحها / غنَّت لنا نجوم / وكم سهرت يا أبى / ترتِّل القرآن / وأمنا تدعو لنا / بأسعد الأزمان.

هذه لوحة ترسم الوطن بأرضه المخضرَّة، وتاريخه، وبيوته، والعيش فيه، والحلم بأسعد الأزمان، ولكنَّ هذا جميعه فُقد، غدا "بطاقة على جدار خيمة"، ويطلع سؤال فى المسكوت عنه، فى الغياب : ألا ينبغى أن يعود هذا الوطن؟ ومن يعيده؟ وكيف؟

إن لغة شعرية جميلة بسيطة تثير أسئلة الوجود العربى الكبرى. واللغة، كما بقية النُّصوص، سهلة بسيطة التركيب، والإيقاع ينظمه مجزوء بحر الرَّجز غير السالم، والقافية متنوِّعة و غير رتيبة.

فى هذا العالم الجميل، لمن تُهدى الورود؟ أو من يستحق الحبّ والشكر والتمتُّع بالعالم الجميل؟

يجيب الشاعر أحمد زرزور عن هذين السؤالين بالقول :

أهدى إلى وردة، وقال : / يا صاحبى / يا صاحبى النيل / إذا أردت أن ترى ابتسامة الورود / ضعها أمام خوذة شهيد / أو حطَّها على شبَّاك جارك المريض / أو اعطها لجدك الحبيب / فى صباح يوم العيد. هذا هو عالم أحمد زرزور، عالم تشكِّله روح الطّفولة الطَّاهرة البريئة.

- **أحمد سويلم** (١٩٤٢ -) شاعر وقاص، وكاتب مسرحى، عمل مديرًا للنشر فى دار المعارف، وأستاذًا لمادة أدب الأطفال، فى كلية التربية فى جامعة حلوان، له ثلاث عشرة مجموعة شعرية وأربع مسرحيات للكبار، وأربع عشرة دراسة أدبية، منها : "أطفالنا فى عيون الشعراء"، و"محمد الهراوى". حائز عدة جوائز، منها : جائزة الدولة التقديرية فى الآداب سنة ٢٠١٦، وله فى أدب الأطفال : حكمة الأجداد (قصص، ثلاثون مثلاً عربيًا) ١٩٨٩، مدائن إسلامية (٨ كتب) - ١٩٩٣، طفولة عظماء الإسلام (٨ كتب) - ١٩٩٣، أتمنى لو - ١٩٩٤. ديوان الطفل (ما قبل المدرسة) - ١٩٩٥، بستان الحكايات (عشر قصص شعرية) - ١٩٩٦، ديوان الطفل العربى - ١٩٩٧، تعالوا نغنى حروف الهجاء العربى - ١٩٩٧، أنا وأصدقائى، (شعر) - ٢٠٠٠، المسرح الشعرى والأطفال (٥ مسرحيات) - ٢٠٠٢، فلسطين عربية (شعر) واحة الحيوان (قصص شعرية) - ٢٠٠٥، أحلامى (شعر) - ٢٠٠٥.

يقول: إن المراحل التى مررت بها متداخلة وغير زمنية، فاليوم شعر، وغدًا مسرحية،... كنت ضمن جيل عانى من كل التحولات الاجتماعية والسياسية والفنية فى العالم العربى، وكنت مجنَّدًا فى حرب العبور، وحاولت التعبير عن هذا الواقع بوصفى شاعرًا... وفى ما يتعلق بالتراث أنا أسعى دومًا إلى تسليط الضوء على الجوانب المشرقة، فمثلاً أعددت دراسة "أطفالنا فى عيون الشعراء".

اتخذت قرارى بالكتابة للأطفال سنة ١٩٨٠، عندما بلغت ابنتى سن العاشرة، ولم أجد لديها كثيرًا من الكتب التى تقرِّبها من هويتها. بدأت بخمس قصص من ألف ليلة وليلة، بعد ذلك قرَّرت أن أكتب شعرًا للأطفال، وأتصور أن العيب لم يكن فى اللغة العربية، ولكن فى مستخدمى هذه اللغة الذين لم يستطيعوا صياغة لغة بسيطة تناسب الطفل، وأؤكد أن الكتابة للطفل صعبة، وتحتاج لسعة أفق، وأظن أن من أفضل ما كتبت للطفل ديوان "أنا وأصدقائى"، ففيه أشياء عالم مشوِّق للطفل، تضعه مع الزهور، والكومبيوتر، والمدرسة، ولعب الكرة[٣]...

- **عبدالتوَّاب يوسف (١٩٢٨ – ٢٠١٥)**

يعدُّ عبد التوَّاب يوسف من أبرز كتَّاب أدب الأطفال العرب، وأغزرهم إنتاجًا، وهو أديب وباحث وناشر ومترجم، كتب قصصًا ومسرحيات وبحوثًا ودراسات نقدية، وترجم العديد من الكتب الأجنبية، وقدَّم أعمالاً إذاعيَّة تتنوَّع بين المسلسلات والبرامج متنوِّعة الفقرات التى كان يؤديها نخبة من مذيعى الإذاعة المصرية، ومن أشهر هذه البرامج، برنامج "غنوة وحدوتة" الذى كان من أنجح البرامج الإذاعية للأطفال، وظل يقدّم لسنوات طويلة.

أول أعماله الرِّوائية "حسان وإحسان فى دار ابن لقمان"، ثم توالت أعماله الرِّوائية، ومنها "خيال الحقل" الذى لقى إقبالاً كبيرًا من الأطفال.

تفرَّغ للكتابة للأطفال منذ العام ١٩٧٥، وقدَّم للمكتبة العربية ما يزيد على ستمائة وعشرين كتابًا للأطفال، فى مختلف أنواع الكتابة لهم.

من أهم مؤلَّفاته السلاسل الآتية : "هيَّا نقرأ"، وتضم ثلاثين عنوانًا، و"حكايات مصرى فى أميركا"، "قصص للصغار"، و"قصص عربيَّة" و"كتب إسلامية"، و"المكتبة الخضراء" و"يحكى أن" و"مكتبتى"، و"إنجاز بامتياز" و"غزوات القرن الحادى والعشرين"، و"الرواية العالمية"، و"قصص الأنبياء للأبناء" و"محمَّد خاتم الأنبياء" فى عشرين قصة طبع منه سبعة ملايين نسخة" و"رجال الأعمال" و"حكايات توشكى" و"لغتنا الجميلة"، و"خيال الحقل" طبع منه ثلاثة ملايين نسخة.

يعد كتابه : "الرسول فى عيون أندرسون" فى قائمة الشرف، من المجلس العالمى للكتاب الأدبى، فرع لندن العام ٢٠١٣.

جمع بين الكتابة الإبداعية والدراسات النقديَّة، ومنها : "ألف ليلة وليلة وحكايات الطفولة"، "الطفل العربى والأدب الشعبى"، "كامل كيلانى وألف ليلة وليلة"، "شعر الأطفال"، و"كتابة السيرة الشعبية للأطفال"، "هل تصلح القصص الشعبية للأطفال؟"، "حكايات الحيوان فى ألف ليلة وليلة"، "عن أدب الطفل مجموعة مقالات" "ديوان شوقى للأطفال"، "أشعار محمَّد الهراوى للأطفال"، "الطفل والشعر - ديوان الشاعر المصرى، إبراهيم العرب للأطفال".

حصل على سبع عشرة جائزة فى مجال أدب الأطفال، منها جائزة "معرض بوليفيا الدولى" لكتب الأطفال عن كتاب حياة محمَّد (صلَّى الله عليه وسلم) سنة ٢٠٠٠، وجائزة الدولة فى أدب الأطفال سنة ١٩٧٥، وجائزة الدولة فى ثقافة الطفل سنة ١٩٨٠، وجائزة القوات المسلَّحة عن أدب أكتوبر سنة ١٩٩٢، والجائزة الأولى، لأحسن كاتب أطفال سنة ١٩٩٨، وجائزة سوزان مبارك عن "توشكى حياة محمَّد" سنة ١٩٩٩. وجائزة منظمة الثقافة العربية ١٩٩٧. وجائزة المجلس العالمى لكتب الأطفال ١٩٩٨، وجائزة الملك فيصل العالمية فى الآداب سنة ١٩٩١.

سافر إلى أوروبا وأميركا، فتعرَّف إلى كتَّاب أدب أطفال، وإلى إنتاجهم، ما أدَّى إلى تطوُّر رؤيته وكتاباته، بقى قارئًا طوال حياته، واقتنى مكتبة يقول فى وصفها : "خلال أسفارى؛ اقتنيت آلاف الكتب، حتى أصبحت لدىَّ مكتبة يقول من زارها من الإنكليز والأميركيين : إنها أكبر مكتبة للأطفال موجودة فى بيت فى العالم".

يقول عن منهجه فى الكتابة للأطفال : "منهجى، فى الكتابة للأطفال، يبدأ بترسيخ العقيدة، ثم تحبيب القرآن الكريم لهم، فحفظ الأطفال لآيات القرآن الكريم ترتقى بهم لأسلوب القرآن الرَّاقى والمعجز، وقد ركَّزت فى قصصى على الطيور والحيوانات التى ذُكرت فى القرآن الكريم، ومجموعها ثلاثون طائرًا وحيوانًا، وبدأت بقصَّة عن الحوت، فقلت : أنا حوت يصل وزنى إلى ٧٥ طنًا، مع أن بيضتى لا يمكن أن تُرى بالعين المجرَّدة. وكان هذا أسلوبى الدمج بين المعلومة الدينية والعلمية فى آن واحد".

بلغ مجموع إنتاجه الفكرى ١٢٦٦عملاً، صدر له أول كتاب سنة ١٩٦٢، وهو مترجم عن الإنجليزية، وعنوانه : "الحذاء الأحمر"، أمَّا أول كتاب مؤلَّف له للأطفال فهو "خيال المآتة"، صدر سنة ١٩٦٩.

أقام أول مؤتمر لثقافة الأطفال فى مصر سنة ١٩٧٠، وأنشأ جمعية ثقافة الأطفال، وهو أول من قدَّم عملاً إذاعيًا للأطفال فى مصر.

اتَّصفت كتاباته بسهولة الأسلوب وعذوبته، واعتماد منهجية بحث علميَّة فى أبحاثه، ودقة المعلومات.

ولد فى قرية "شنرا" الواقعة فى محافظة بنى سويف، تلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى مدينة بنى سويف. كان فى أثناء دراسته هذه، يستأجر القصص من الأطفال، ما أدى إلى تميُّزه فى القصِّ فى ما بعد؛ حيث كان يتصوَّر، وهو يكتب، أنه ما زال يحكى لأصدقائه الحكايات.

انتقل إلى القاهرة سنة ١٩٤٥، ليبدأ دراسة فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، فينال إجازتها سنة ١٩٤٩، والماجستير سنة ١٩٥٣.

ساعده زواجه من نتيلة إبراهيم راشد (ماما لبنى)، رئيسة تحرير مجلَّة سمير وكتب الهلال للأطفال، والحاصلة على جائزة الدولة فى أدب الأطفال سنة ١٩٧٨، وعلى وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، على التفرُّغ للكتابة للأطفال، فكانا يعملان معًا، فى فضاء من التَّعاون والوفاق.

يُطلق عليه "رائد أدب الأطفال العربى"، غير أنه كان يرفض هذا اللقب، ويقول : "أنا لست رائدًا، ولا أحب هذه التسمية، فالرَّائد الحقيقى هو كامل كيلانى، وقد سرت على درب هذا الرَّجل، وأنا أعدُّه أهم من أندرسن، لأنَّه قام بابتكار عشر قنوات لثقافة الأطفال، ففى المرح ألَّف قصصًا عن جحا، وقام بتأليف قصص دينية، فألَّف قصصًا عن السيرة النبويَّة فى ثلاثين كتابًا، وأضاف العلوم...، وأنا أؤمن هنا بمقولة شهيرة لبرنارد شو؛ حيث يقول : "إننى لا أشبه شكسبير، لكننى أقف على أكتافه، لذلك فقد طوَّرت بعد كامل كيلانى، وبينى وبينه خمسون عامًا، ومما ساعدنى على التطوير أنى عرفت أدب الأطفال العالمى ومستجداته".

يطلق عليه، أيضًا لقب "عمدة أدباء الأطفال العرب"، وتحدث الكثيرون عنه، فقالت سهير القلماوى : "إن هناك كثيرين يكتبون للأطفال، لكن القليلين فقط هم الذين أنتجوا أدبًا حقيقيًا، وعبدالتوَّاب يوسف فى طليعتهم كمًا وكيفًا". وقال ديسان رول رئيس الهيئة الدولية لكتب الأطفال : "إن مكتبة عبدالتوَّاب يوسف هى أكبر مكتبة أطفال موجودة فى بيت فى كل العالم، ومؤلفاته ينطبق عليها الأمر نفسه".

يتحدَّث عن شروط الكتابة للأطفال، فيقول : "على الراغب، فى الكتابة للأطفال أن يدرس، لأن الكتابة للأطفال فى غاية الصعوبة، وعلى كاتب الأطفال أن تكون لديه قدرات لغوية كبيرة، حتى يستطيع أن يبسِّط من دون أن يخل بالرقى اللغوى، فالطفل لديه كلمات قليلة يتفهمها؛ لذا فعلى الكاتب أن يوصل ليس فقط المعلومة، بل المشاعر والأحاسيس. والأدب الذى يريد أن ينقله للطفل، من خلال قصة ما، ينبغى أن يركِّز على الأسلوب الجميل حتى ينمِّى ثروتهم اللغوية. وعلى كاتب قصص الأطفال الناجح أن يخاطب العقل والقلب فى الوقت نفسه، والكتابة للأطفال تحتاج إلى تضحيات وتتطلب معاناة كبيرة"[٤].

يقول عن صحبته لكتب الأطفال :

"صحبت كتب الأطفال عمرًا كاملاً... فى طفولتى قرأت الكثير، وتعرفت إلى أسماء ما زالت عزيزة غالية... وبعد أن بدأت الكتابة للأطفال سيرًا على الطريق الذى عبَّده هؤلاء الرواد،

استمرت الصحبة، وتوطَّدت قرابة ثلث القرن : قارئًا مستمعًا، ودارسًا متمعِّنًا، وباحثًا مدقِّقًا، ومنقِّبًا عما يحتاج إليه الأطفال، ويرضيهم فى نفس الوقت. مدين لكتَّاب الأطفال فى العالم، منذ هانز أندرسون إلى اليوم...".

تصفه زيلا جاكويش، مسؤولة كتب الأطفال فى مكتبة الكونغرس بقولها : أنت من أكثر الناس الذين قابلتهم فى حياتى معرفة بكتب الأطفال فى العالم، كيف تأتَّى لك أن تعرف كل هذه الأسماء وعناوين الكتب[٥] سأله أحد الكتَّاب : هل هناك شيء اسمه أدب أطفال؟ فأجابه : توجد مكتبة، فى ألمانيا، فيها نصف مليون كتاب للأطفال. هل يعنى لك هذا شيئًا!؟.

احتفى بالشعراء شوقى والرَّصافى والهراوى والكيلانى وإبراهيم العرب، وبذل جهدًا فى إعداد ديوان شوقى، إذ بوَّبه تبويبًا يساعد على القراءة، يبدأ بقصيدة "فى رعاية الأطفال"، ثم قصائد الأسرة، ثم أناشيد، ثم شعر الحيوان.

فى قصص الحيوان اهتم بها، ليس فى ديوان شوقى فحسب، بل فى مجموعة من الكتب الأنيقة الصغيرة الملوَّنة. تجد اسم أحمد شوقى على الغلاف، ثم موضوع الكتاب، وله حكايات عن سيدنا سليمان والحيوان (قصص فى قصائد)، وفى كتب أخرى : "حكايات عن الكلب..، عن الأسد، عن القط، عن الحمار، عن الثعلب..".

يقول إبراهيم الشعراوى عن جهود يوسف فى نشر شعر الأطفال : "إن شعر الأطفال هو مظلة الحماية للغة العربية من زحف العاميات التى تفتِّت وحدتنا العربية، وتبعدنا عن تراثنا الروحى الموحَّد. وإنه شعر لا يقف عند الحاضر، بل يمتد بجذوره إلى أعماق الماضى العظيم من تراثنا العربى الخالد..."[٦].

نقرأ لعبدالتوَّاب يوسف سلسلتين من كتب الأطفال : أولاهما سلسلة "حيوانات صديقة"، صادر عن دار التنوير لبنان، مصر، تونس، وثانيتهما سلسلة "أطفال أبطال". صادرة عن دار الكتاب المصرى - القاهرة، ودار الكتاب اللبنانى - بيروت، من دون تاريخ نشر.

جاء، فى تعريف سلسلة "حيوانات صديقة"، أنها موجَّهة إلى أطفال ما قبل السادسة من العمر، بوصفها المرحلة التى يتشكل ٧٥% من ذكاء الطفل خلالها، وإذ تعى الدُّول المتقدِّمة أهمية هذه المرحلة تسعى إلى تثقيف أطفالها، وتتسابق لتحقيق ذلك تسابقًا أكبر وأهم وأخطر من تسابقها فى مجال الأسلحة الذرية، وقد غدا هذا التسابق معيار تقدُّم دول العالم.

لعلَّ الناشر كتب هذا التعريف ليرِّوج لكتبه، لكن هذا التعريف لا يخلو من مبالغة، ومن مقارنة تخلو من وجه شبه، إن لم تكن مقارنة بين عملين متناقضين.

تتألف هذه السلسلة، كما جاء من التعريف، من ثلاثة كتب، فى كل كتاب ثلاث وثلاثون حكاية، وكل حكاية تتألف من مائة كلمة، فيبلغ مجموع كلمات السلسلة عشرة آلاف كلمة، يحكى هذه الحكايات الآباء والأمهات والمربُّون والمربِّيات.

جاء فى كلمة المؤلف لهؤلاء الرُّواة عن ضرورة تذكير بشهرزاد أعظم راوية للحكايات فى العالم وفى التاريخ، هزمت القتل بأجمل ما سمع الناس وقرأوا، فى "ألف ليلة وليلة، ثالث كتاب مترجم للغات دنيانا بعد الإنجيل وشكسبير. ويلى ذلك تساؤل عن تخلِّى الأجداد والجدات والآباء

والأمهات عن الحكى للأبناء والبنات والأحفاد والحفيدات؛ وذلك فى الوقت الذى يقدس فيه الألمان حكاية ما قبل النوم ولا يتنازلون عنها قطّ، ما يعنى أنه يريد أن يقدِّم حكايات تعيد ذلك التقليد التراثى الذى تنازلنا عنه؛ ولم يتنازل الألمان عنه، ليتحدث عن وظيفة هذه الحكاية التطهيرى وعن صفاتها. ويرى أنَّه ينبغى ألا تكون مثيرة أو مزعجة أو محبطة، بل لا بد من أن تكون هادئة بسيطة خفيفة مرحة. مكثفة بالغة القِصَر، ويعطى الراوية أو الراوى حرية الاختيار والحذف والإضافة، فيغدو كأنه منتج آخر للحكاية.

لدينا إذًا سلسلة حكايات تُرْوى لأطفال المرحلة ما قبل السادسة، ملائمة لهم، تروى كما كانت تروى الحكايات القديمة، وللرَّاوى أو الراوية أن يتخذ الحكاية مادة يعيد صياغتها وفقًا لما يراه مناسبًا. ويحيل إلى كتاب مرجع عنوانه : لماذا وماذا وكيف نحكى للأطفال؟

هذا يقتضى أن يكون الأب أو الأم أو الجد أو الجدة مثقفًا قادرًا على إعادة الصياغة، وقادرًا على شراء المرجع المذكور وقراءته وفهمه وتحويل فهمه إلى كفاءة عملية، إن هذا مشروع يرمى إلى تثقيف أولى أمر الطفل أولاً، والسؤال الذى يطرح هنا هو : هل هؤلاء الرُّواة متوافرون؟ وفى أى أسر وكم عددهم؟ ما يعنى أن هذه السلسلة معدَّة لأطفال فئة من فئات المجتمع وليس للأطفال جميعهم إلا إذا كان الرواة الآخرون سيروون الحكايات كما هى :

فلننظر فى أنموذج من هذه الحكايات هو "الجاموسة الباسمة". الجاموسة حيوان أليف، معروف فى مصر، وليس فى بقية الأقطار العربية، ولهذا كان من اللازم أن يُعرِّف رسم الغلاف بها، لكن هذا الرسم المفترض أن يعرِّف بالجاموسة، يقدِّمها فى شكل "كاريكاتيرى" ضخم غير دال على شكلها الحقيقى، ولا تبدو باسمة، وإنما يبرز سنَّان لها. وتنظر عيناها إلى البعيد، وتمتطيها فتاة صغيرة تراعيها سيدة تقف قربها، ويبدو خروف صغير كأنه يركض وراء الجاموسة وأمام السيدة.

ليس من جاموسة باسمة، وإذ نقرأ الحكايات لا نجد علاقة بينها وبين هذا الرسم... فما فائدة هذا الرسم إذًا، هل هو للزِّينة، أو للإثارة وشدّ الانتباه، فيؤدِّى الوظيفة التى أريد للتَّعريف بالسلسلة أداءها؟

وإذ نقلِّب الورقة الأولى، وتحمل معلومات النشر، نجد فى الصفحة الثالثة رسمًا كاريكاتيريًا لجرَّار تحت اسم عنوان الكتاب، والواضح أن ليس له علاقة بالعنوان، إذ إن له علاقة بالنص الأول، وهو ليس حكاية وإنما رسالة، من الجاموسة إلى الجرار، والواضح أن الجرار المرسوم يختلف عن جرار الرسالة، فالأول تحيط به أشياء ملَّونة : ورقة رسالة باقة ورد ومغلَّف...، والثانى جرار يحرث المزرعة ويجنى المحصول، ويفصل الحبوب عن القش والتبن، ثم تأتى المقدمة، فالرِّسالة فى صفحة فى أسفلها رسم للجاموسة تكتب الرسالة. وإلى جانبها رسم الجرار نفسه مكبَّرًا. الرسم هنا أيضًا للزينة، والإثارة، ثم إن النص رسالة وليس حكاية، تتضمن معلومات غير صحيحة، فالجرار يحرث ولا يجنى المحصول، ويدوسه ولا يفصل الحبوب، ثمَّ هل تعنى هذه الأمور طفل هذه المرحلة، وهل يفهمها...؟ إنها تحتاج إلى شرح طويل، إضافة إلى أن هذا النص لا يخلو من وجود بعض الألفاظ الصَّعبة، مثل : "التقنية" واللافت أن جمله طويلة جدًا، ويحتاج

بعض عناصر هذه الجمل إلى تأويل : "شكرى لك أن قمت".

تنطق الرسالة بقيمة علميَّة تتمثَّل فى التعريف بإنجازات العلم وتقديره، وفى الصفحتين التاليتين نجد على الصفحة الثانية نصًّا عنوانه : "الحمل والذئب والأسد"، وعلى الأولى نجد رسمًا كاريكاتيريًا لجمل وحيوان آخر يهم بالهجوم عليه، لا يدل شكله لا على الذئب ولا على الأسد. فالرسم تزيينى، عنوان الرسم فى أسفل النص دال على التهام الأسد للجمل.

النَّص فى هذا الكتاب، نصَّان : الأوَّل نثرى للمؤلف يتألف من سطرين، والثانى نظم لإبراهيم العرب يتألف من خمسة أبيات، وكل منهما يروى حكاية الجمل الذى هرب من الذئب إلى الأسد فالتهمه، لغة النثرى سهلة، ولا تنتهى بعظة، أما الثانى فلغته صعبة، وينتهى ببيت ينظم حكمة :

رب من ترجو به دفع الأذى ... عنك يأتيك الأذى من قبله

الفرق واضح بين نوعين من الكتابة للأطفال، الأول نثرى حديث، والثانى منظوم قديم. يدل هذا الفرق على تطور الكتابة للأطفال على مختلف المستويات، إضافة إلى دلالة على إمكانية الإفادة من التراث الحكائى القديم فى كتابة نصوص حديثة.

وفى الصفحتين التاليتين، نجد حكاية الجاموسة الباسمة. أخذ الرسم الموجود على الغلاف مساحة الصفحة الأولى، وامتد إلى النصف الأسفل من الصفحة الثانية، ليصوِّر أشياء توجد فى المزرعة، وهنا تتَّضح دلالة الرسم، فالصغيرة لبنى ذهبت إلى المزرعة، وركبت الجاموسة، وكانت تعيش فى المدينة ولم يصادف أن رأت جاموسة، وتحب أغنية "طلعت يا محلى نورها" تسأل لبنى عن معانى كلمات الحكاية، فتشرحها الأم، ثم سألت : لماذا نلبس الجاموسة معطفًا والجو حار؟ فتلتفت إليها الجاموسة، وتبتسم ابتسامة حلوة من دون أن تجيب ليبقى السؤال معلَّقًا، فيجيب، من يروى الحكاية، أو يفكر المتلقِّى فى إجابة.

الحكاية تعرِّف بحيوان صديق، يقدِّم لنا الحليب، ولكنه ليس للركوب، المعجم اللغوى سهل، بعض الألفاظ غير دقيقة الأداء، مثل "يتصادف"، فصيغتها تعنى التفاعل، والصحيح فلم يصادف، والعبارات تتراوح بين قصيرة وطويلة. الحدث واحد وبسيط.

النَّص يزيد عدد كلماته على المئة كلمة فى الصفحتين التاليتين، ويزيد عدد كلمات على المئة كلمة.

نجد على الصفحة الثانية نصًّا عنوانه : "تعاونوا". وفى أسفله صورة رجل متدلِّى الشاربين مقيَّد اليدين، وعلى الصفحة الأولى رسم تزيينى. الحدث فى الحكاية بسيط، مفاده أن كلبين : كبير وصغير تعاونا على الإمساك بلص، وتنتهى الحكاية بعظة : "أرأيتم كيف تم التعاون بين الكبير والصغير البارع؟".

كان يمكن أن يروى حدث يدل على التعاون بين الكبير والصغير أكثر إقناعًا، فهل يحتاج كل بيت إلى كلبين : الأول يلحق باللص، والثانى ينبح لينبه أصحاب البيت، والزمن قد تغير، إذ تستخدم الآن الكاميرات ووسائل الإنذار، يبدو الحدث غريبًا عن عالم الطِّفل. وفى الصفحتين التاليتين نجد فى الصفحة الثانية نصًّا لأحمد شوقى عنوانه : الكلب والحمامة، وهو منظومة معروفة، حدثها مستقى من كليلة ودمنة، ودلالتها مصوغة نظمًا فى نهاية الحكاية : هذا هو المعروف، يا أهل الفطن / الناس بالناس ومن يَعِن.

تثار هنا أسئلة منها : لم اختيار نصٍّ قديم لأحمد شوقى؟ وهل يصلح هذا النص لأطفال المرحلة المعنية؟ ولم لم يقم المؤلف بكتابة الحكاية كما فعل فى حكاية إبراهيم العرب، ونجد فى الصفحة الأولى رسمًا تزينيًا لا يقدِّم أى إيضاح للنص.

ما يمكن قوله : إن هذا الأنموذج من سلسلة حيوانات صديقة، المعد ليروى لأطفال المرحلة العمرية ما دون السادسة من العمر، يتصف بخصائص منها : توافر عناصر ترويج : إثارة وشد الانتباه، كما لاحظنا فى ما سبق، ليس من حكايات مشوِّقة، وخصوصًا الرسالة والحكايتين المنظومتين، تمثل حكاية ما قبل النوم المرحة الفرحة، الرسوم غير ملائمة، ويفترض أن يوضع لكل تفصيل رسم تكتب فى أسفله جملة، فتُقرأ الجملة ويُشاهد الرسم، لا تخلو اللغة من ألفاظ صعبة وعبارات طويلة، القيم علمية ومعرفية، وأخلاقية تربوية وبعضها ينطق به مباشرة.

ليس فى سلسلة "أطفال أبطال"، من تعريف بها، ولا بالفئة العمرية الموجَّهة لها، والظاهر أنها موجهة لأطفال مرحلة الطفولة المتأخرة، وللفتيان، وهى تروى قصص أطفال متميِّزين عرفهم التاريخ الإسلامى والعربى. تتألف السلسلة من عشر قصص، أولاها عنوانها : "أطفال أبطال"، تبدأ بمقدمة عن الكلمتين الحلوتين المتشابهتين اللتين لهما رنين واحد، وهما أطفال وأبطال، وبحديث عن مواكب الأطفال الأبطال فى تاريخنا، ثم تقدِّم أربعة أحداث قام بها أربعة أطفال : أولها عندما نام الإمام على بن أبى طالب، وهو فتى، فى فراش النبى، وثانيها عندما شارك الفتى "عبدالستار آدم" فى مقاومة الفرنسيين، إبان غزو نابليون بونابرت لمصر، وثالثها عندما كان طفل لم يسمِّه يصنع كرة القماش ويغمسها بالنفط، ويطلقها إلى معسكرات الإنجليز كرة من نار، ورابعها عندما وقف الفتى المتطوع طوال ساعتين على أطراف أصابعه، صابرًا محتملاً من أجل أن يُقْبل فى صفوف المتطوعين الذين سيدافعون عن بلادنا. يروى الكاتب الأحداث بلغة حماسية، ثم يلى حديث "عن الصُّور العظيمة لهؤلاء الأطفال الأبطال".

تروى ثمانى قصص مواقف فتية سجلها التاريخ الإسلامى لأسامة بن زيد وعبدالله بن الزبير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب، وزيد بن ثابت، وزين العابدين، ومحمَّد بن القاسم، والبراء بن عازب وزياد بن أبيه، وتروى القصة العاشرة موقف الفتى التغلبى المسيحى، وهو موقف حسم المعركة؛ إذا إنه قتل المرزبان قائد جيش الفرس فى معركتى "الجسر" و"بويب" اللتين خاضهما العرب ضد الفرس، وفيهما قال قائد الجيش العربى، المثنى بن حارثة؛ للزعيم التغلبى المسيحى : إنك امرؤ عربى. فإذا حملت أنا على الفرس، فاحمل معى، فحمل معه، وانتصر العرب، كأن هذه العبارة هى عبارة سحرية مثل العبارة التاريخيَّة "افتح يا سمسم" أقنعت الزعيم القبلى باتخاذ موقف حاسم فى معركة تاريخية، وهذا، كما هو واضح، تبسيط للوقائع التاريخية.

يستطيع الكاتب، فى تقديمه للمواقف، التقاط اللحظة المهمَّة وعزلها وسرد أحداثها، من دون أن يعنى بالتفاصيل، وإلاَّ لكان وقع فى إشكالات كثيرة، منها على سبيل المثال، ما يتعلق بشخصيَّة "زياد"، وأول هذه الإشكالات أنه لم ينسبه إلى أبيه، كما فعل مع بقية الشخصيات، وكتب اسمه "زياد" فحسب، وإلاَّ لكان عليه أن يقول : "زياد بن أبيه"، فهو غير معروف الأب، ونُسب إلى أبى سفيان فى قصَّة معروفة، ثم إن (زياد) ليس الشخصية العربيَّة المثال والقدوة لأطفال العرب، فهو طاغية وصولى معروف حكم العراق بالحديد والنَّار.

يسرد الكاتب الأحداث فى سياق خيطى، ثم يلخصِّها فى خاتمة القصَّة، وكثيرًا ما تنتهى القصَّة بخطاب حماسى، كما فى قوله فى نهاية قصة "زين العابدين": "ولكن لواء الحق يظل مرفوعًا، وراية الإسلام ستبقى خفَّاقة إلى أن تقوم الساعة" (ص ٩). والموقف البطولى الذى رواه للإمام على بن الحسن (زين العابدين) هو قوله لأبيه فى كربلاء : ما دمنا على الحق يا أبى، فإننا لا نبالى...، وهذا الحقِّ الذى ستبقى رايته مرفوعة، كان وريث زياد، ابنه عبيد الله، يقاتله، ويرتكب ما ارتكبه من فظائع فى كربلاء، فكيف يستقيم تقديم شخصيتين : أولاهما ترفع راية الحقّ، وتضحِّى من أجل أن تبقى مرتفعة، وثانيتهما تحارب الأولى، وترتكب أفظع الأعمال للقضاء عليها؟ هل يعود هذا إلى عدم معرفة بحقائق التاريخ وشخصيَّاته أو إلى اقتطاع لحظات من التاريخ وعزلها، فيكون النقيضان فى موقع واحد؟

وتنتهى بعض القصص بموعظة تتخذ صيغة الأمر، كما جاء فى نهاية قصته "أسامة بن زيد": "خذ من أسامة بن زيد قدوة ومثلاً أعلى" (ص ٩).

يبدو السرد أقرب إلى السرد التاريخى الذى يقدِّم معلومات، ولا يخلو من خطاب حماسى، ويؤدَّى بلغة سهلة، وعبارات قصيرة، تتألف كل قصَّة من ست عشرة صفحة ملَّونة مزوَّدة برسوم تزينية، تبدأ القصة فى الصفحة الثانية وتنتهى فى التاسعة، وتلى نشاطات تعليمية متنوِّعة، منها أسئلة فى فهم القصة، وتمارين تتيح للطالب أن يشارك فى إنتاج نصٍّ، أو فى تحصيل معلومات، أو فى القيام بلعبة ما، أو فى أداء نشيد ما، ما يعنى أن القصة تتألف من قسمين : أولهما القصَّة، وثانيهما النشاطات التى تتخذ القصَّة مادة تنطلق منها، وهذه تجربة تقدِّم قصَّة الطِّفل القدوة من نحوٍ أول، وتجعل الطفل يشارك فى الكتابة وتحصيل المعرفة واللعب من نحوٍ ثانٍ، والنشاطات كما تبدو، معدَّة جيِّدًا، لكنها تحتاج إلى مشرف يمتلك الأهلية والكفاءة ليوجِّه الأطفال ويقيِّم أجوبتهم، وهنا يسعى الكاتب إلى إشراك الأهل، أو الأساتذة، فى عملية القراءة والتثقيف، فهذه السلسلة تقدِّم القصَّة المسلِّية، وفى الوقت نفسه تقدِّم الشخصية القدوة والمعرفة، وتتيح الفرصة لتحصيل المعرفة والقيام بنشاط مثمر.

فى الختام

نستطيع القول فى الختام : إنَّ أدب الأطفال العربى، فى مصر، فى المرحلة الثانية من تطوُّره، غزر إنتاجه، وتنوَّع، وكثر كتَّابه، وبرز، من بينهم، روَّاد واصلوا طريق الرُّواد الأوائل، وحققوا إنجازات أسهمت فى تأصيل هذا النوع الأدبى فى الأدب العربى.

المراجع :

(١) راجع : أحمد نجيب، القصَّة فى أدب الأطفال، بيروت : دار الحدائق، ص ٤٣ -٦١.
(٢) راجع : نفسه ص ١٣٣.
(٣) راجع : صلاح فضل، أحمد سويلم فى آفاقه الشعرية، الأهرام، ١٣ فبراير ٢٠٠٦، السنة ١٣٠، العدد ٤٣٥٣٣. وحوار مع مجلَّة محيط، نشر فى ١٤/٧/٢٠٠٩، راجع الموقع www.Massrss.com.
(٤) راجع : موقع عبدالتوَّاب يوسف، WWW.ayoussef.org وجريدة واصل، المملكة العربية السعودية، أيار (مايو) ٢٠١٢، حوار مع الكاتب عبدالتوَّاب يوسف.
(٥) عبدالتوَّاب يوسف، كتب الأطفال فى عالمنا المعاصر، القاهرة - بيروت : دار الكتاب المصرى - دار الكتاب اللبنانى، د. ط، د. ت، ص. ٤ - ٧.
(٦) شعر الأطفال، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب، ص ١١٦.